دور الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)
في معالجة مسائل العقيدة النبوة أنموذجاً

الأستاذ الدكتور جواد كاظم النصر الله
كلية الآداب / جامعة البصرة
المدرس الدكتور إياد صالح عاصي
مديرية تربية البصرة

ملخص البحث :-

لما كان أئمة أهل البيت عليهم السلام هم القائمون على الشريعة، فلم يقتصر دورهم بيان مراد الشريعة، بل قاموا بالدفاع عن العقيدة، ومن أهم المسائل العقدية التي أثيرت حولها الشبهات كانت (النبوة) سواء النبوة العامة، ومدى صحة بعثة الأنبياء والتي أثيرت من الملاحدة، أو النبوة الخاصة بالنبي محمد (ص) التي أثيرت حولها الشبهات من الأديان الأخرى كاليهودية والنصرانية وغيرهما.

لقد فسحت الظروف السياسية للإمام علي بن موسى الرضا (ع) سواء في البصرة أو خراسان، القيام بدوره في الدفاع عن أصول العقيدة الإسلامية، ومنها النبوة، بأساليب عدة من أهمها المناظرات مع الملاحدة لاثبات العلة التي من أجلها بعثة الأنبياء، ومع أصحاب الديانات الأخرى لإثبات نبوة النبي محمد (ص) .

دور الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)
في معالجة مسائل العقيدة
النبوة أنموذجاً

النبوة لغة:- مشتقة من النبأ بمعنى الخبر، والنبي المخبر عن الله عز وجل[0]، وقيل النبوة والنباوة، وهي: الارتفاع من الأرض – أي شرف على سائر الخلق – فتكون بمعنى الرفعة والعلو[0] والنبوة مأخوذة أيضاً من النيابة، فالنبي هو النائب عن الله تعالى وخليفته في أرضه[0]. وهي الطريق باعتبار أنها وسيلة إلى الله تعالى، ويقال للرسل عن الله تعالى أنبياء لكونهم طريق الهداية[0] .

أما في الاصطلاح:- فالنبوة هي تفضيل من الله تعالى على من اختصه بكرامته لعلمه بحميد عاقبته، واجتماع الخلال الموجبة في الحكمة بنبوته في الفضل عمن سواه[0]. وقيل هي منصب الهي يهبه الله تعالى إلى من يخصه بكرامته تفضيل بها عليه من دون سائر البشر[0].

فالنبوة من مقتضيات العدل الإلهي في تشريع الشرائع، وتوضيح ما يترتب على ذلك من حسن أو قبح، وثواب أو عقاب، فالنبوة وظيفة إلهية وسفارة ربانية، يجعلها الله لمن يجتبيه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين بإنسانيتهم فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة[0].

وقد اختلف العلماء حول الفرق بين النبي والرسول على قولين: الأول: ما ذهب إليه متكلموا الإمامية والاشاعرة، وهو أنه يوجد فرق بين النبي والرسول مستدلين على ذلك بأدلة منها:-

أ- قوله تعالى : ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ))[0] ، فقد دلت الآية على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي، وهو عطف عام على خاص، ويقتضي المغايرة[0] .

ب- إن من أنبياء الله كانوا حفظة شرائع الرسل وخلفائهم في المقام[0] وأن اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات[0] بدليل قوله تعالى: ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا))[0] وفي ذلك دلالة على الفرق بينهما[0] .

الثاني:- ما ذهب إليه جمهور المعتزلة: من انه لا يوجد فرق بينهما، فالنبي رسول، والرسول نبي[0] ومن أهم أدلتهم على ذلك :-

أ- قوله تعالى: ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا))[0] فدلت الآية على أن معنى النبي والرسول واحد، وأنهما لا فرق بينهما[0].

ب- قوله تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ))[0] فقد جعلت الآية كل من الرسول والنبي مرسلاً من عند الله فلا يكون النبي إلا رسولاً، ولا الرسول إلا نبياً[0] .

ومما أثر عن الإمام الرضا عليه السلام في توضيح الفرق بين النبي والرسول، في جوابه على سؤال وجه إليه: ما الفرق بين الرسول والنبي والإمام؟ فقال: أن الرسول الذي ينزل إليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل الوحي عليه وربما ينبئ في منامه نحو رؤيا إبراهيم، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع الكلام، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى)[0] .

١- النبوة ضرورة إلهية:-

كان للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام دور بارز في توضيح العلة في بعثه الله الرسل والأنبياء، إذ روي عنه عليه السلام إنه قال: ((فإن قال قائل: لم أمر الخلق بالإقرار بالله وبرسله وبحججه، وبما جاء من عند الله عز وجل؟ قيل: لعلل كثيرة منها: ان من لم يقر بالله عز وجل ولم يجتنب معاصيه ولم ينته عن ارتكاب الكبائر ولم يراقب أحداً فيما ينتهي ويستلذ عن الفساد والظلم وإذا فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كل إنسان ما يشتهي ويهواه من غير مراقب لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين ووثوب بعضهم على بعض فغصبوا الفروج والأموال وأباحوا الدماء والنساء، وقتل بعضهم بعضاً من غير حق ولا جرم، فيكون في ذلك خراب الدنيا وهلاك الخلق، وفساد الحرث والنسل ...))[0].

ان من يتدبر قول الإمام الرضا عليه السلام يرى انه يؤكد على لزوم النبوة، فلولا النبوة للزم فساد الخلق والحرث والنسل، فالإنسان يجهل الكثير من مصالحه ونتائج أعماله والله أجل وأعظم من ان يورط عبده بجهله، بل أراد ان يجعله سعيداً في حياته الدنيوية وفي الآخرة من الناجين، فالإنسان لن يبلغ بعقله الكمال ولن يدرك الحق، فمن لطفه[0] أنه بعث الأنبياء.[0]

وقال الإمام الرضا عليه السلام في لزوم بعثة الأنبياء أيضاً فإن قال قائل: فلم وجب عليهم معرفة الرسل والإقرار بهم والإذعان إليهم بالطاعة؟ قيل: إن لم يكن في خلقهم وقوامهم ما يملكون به مصالحهم وكان الصانع متعالياً عن ان يرى ضعفهم وعجزهم عن إدراكه لم يكن يدلهم من رسول بينه وبينهم ومعصوم يؤدي إليه أمره ونهيه وأدبه ونفعهم على ما يكون به إحراز منافعهم ومضارهم فلو لم يجب عليه معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة ولا سد حاجة وكان إتيانه عبثاً لغير منفعة ولا صلاح وليس هذا من صفة الحكيم الذي أتقن كل شيء)[0].

٢- عصمة الأنبياء :-

من المسائل التي وقع الحوار والجدل فيها هي عصمة الأنبياء، والعصمة في اللغة: هي المنع، والاعتصام والامتناع[0]. أما اصطلاحاً :- فهي قوة راسخة في النفس (ملكة)، يمتنع بها الإنسان عن اقتراف المعاصي وارتكاب الأخطاء[0]. فالعصمة يراد بها اجتناب المعاصي والفواحش ما ظهر منها وما بطن، فالعصمة هي اللطف الذي يفعله تعالى، فيختار العبد عنده الامتناع عن فعل القبيح[0].

إن جميع الفرق الإسلامية قالت بالعصمة، لكنها اختلفت في حقيقتها، فالأشاعرة ذهبوا إلى عصمة الأنبياء بعد النبوة من كل الذنوب ماعدا السهو والأخطاء، وأجازوا عليهم الذنوب قبل النبوة[0]. اما المعتزلة فقد قالوا لا يجوز على الأنبياء الذنوب الكبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها ولكنهم جوزوا الصغائر على الأنبياء، [0] وأما الإمامية فقالوا انه يجب ان يكون النبي معصوماً من الذنوب صغيرها وكبيرها قبل البعثة وبعدها لا عمدا ولا نسيانا بل على كل حال[0]. بل يجب ان يكون منزها عما ينافي المروءة كالتبذل بين الناس من أكل في الطريق او ضحك عال وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام[0].

وذكر أبو الصلت الهروي ان المأمون جمع أهل المقالات والنحل من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى و الصابئه وغيرهم مع الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام لأجل المناظرة بينهم فلم يقم أحد إلا وقد ألزمه حجته كأنه ألقم حجراً. فقام إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام علي بن محمد بن الجهم فقال له: يا ابن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال الإمام عليه السلام: نعم. فقال علي بن محمد بن الجهم : فما تعمل في قول الله تعالى عز وجل: ((فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى))[0].

فقال الإمام علي الرضا عليه السلام ويحك يا علي إتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش، ولا تتأول كتاب الله برأيك، فان الله عز وجل قد قال: ((وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ))[0].

وأما قوله عز وجل في آدم ((وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى))[0] فإن الله عز وجل خلق آدم حجه في أرضه، وخليفته في بلاده، لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض لتتم مقادير أمر الله عز وجل، فلما أهبط إلى الأرض وجعله حجته وخليفته عصم بقوله عز وجل: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ))[0].

ونستشف مما تقدم ان الإمام عليه السلام يؤكد أمرين :-

- عدم تأويل القرآن بالرأي، لان تأويل القرآن لا يعلمه إلا الله، والراسخون في العلم، وهم أهل البيت عليهم السلام.
- ان التكليف الشرعي لآدم كان في الأرض لا في الجنة، لذلك فإن المعصية كانت بالجنة.

وسأل ابن الجهم الإمام الرضا عليه السلام عن قوله تعالى: ((وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ))[0].

فقال عليه السلام : إنما ظن إن الله عز وجل لا يضيق عليه رزقه، ألا تسمع قول الله عز وجل: ((وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ))[0].

وذكر الصدوق[0] إن المأمون سأل الإمام الرضا عليه السلام فقال له: ما معنى قول الله عز وجل: ((وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ)[0]

فقال الإمام الرضا عليه السلام: ذلك يونس بن متى ذهب مغاضباً لقومه، فظن بمعنى استيقن ((أَنْ لَنْ نَقْدِرَ)[0] رزقه، أي لن نضيق عليه رزقه ومنه قوله عز وجل ((وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ))[0] أي ضيق وقدر((فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ)) [0] أي في ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ((لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ))[0] بتركي مثل هذه العبادة التي فرغتني لها في بطن الحوت، فاستجاب الله له، وقال الله عز وجل: ((فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ))[0] فقال له المأمون: لله درك يا أبا الحسن.

وتساءل ابن الجهم عن ما صدر عن النبي يوسف كما أشار إليه القران، ((وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ))[0].

فقال الإمام الرضا عليه السلام، فإنها همت بالمعصية وهم يوسف بقتلها ان أجبرته لعظم ما داخله، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله: ((وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ))[0] يعني القتل والزنا[0] .

وروي ان المأمون سأل الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: ما معنى قول الله عز وجل: ((وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ))[0].

فأجابه الإمام الرضا عليه السلام بأسلوب آخر، فقال: ((لقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها كما همت به، ولكنه كان معصوماً والمعصوم لا يهم بذنب، ولا يأتيه، ولقد حدثني أبي عن أبيه الصادق عليه السلام قال: همت بأن تفعل، وهم بأن لا يفعل))[0].

فقال ابن الجهم، فما تقول بقوله عز وجل: ((قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ))[0].

فقال الإمام الرضا عليه السلام : وأما داود فما يقول من قبلكم فيه ؟

فقال علي بن محمد بن الجهم يقولون: ان داود كان في محرابه يصلي إذ تصور له إبليس على صورة طير في دار أوريا بن حنان، فطلع داود أثر الطير، فإذا بامرأة أوريا تغسل فلما نظر اليها هواها، وكان أوريا قد أخرجه في بعض غزواته، فكتب الى

صاحبه ان قدم أوريا أمام الحرب، فقدم فظفر أوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود، فكتب إليه ثانية ان قدمه أمام التابوت فقتل أوريا رحمه الله وتزوج داود بامرأته.

فقال أبو الحسن الرضا عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون : لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله إلى التهاون بصلاته حتى خرج في أثر الطير، ثم الفاحشة ثم القتل، فقال علي بن الجهم:يا ابن رسول الله فما كانت خطيئته؟

فقال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: ان داود إنما ظن ان ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عز وجل إليه الملكين، فتسورا المحراب فقال: ((إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ)) [0].

جعل داود على المدعي عليه قال: ((قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ))[0].

ولم يسأل المدعي البينة على ذلك، ولم يقبل على المدعي عليه فيقول له: ما تقول؟ فكانت هذه خطيئته رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع الله عز وجل يقول: ((يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ))[0] فقال علي بن الجهم : يا ابن رسول الله فما قصته مع أوريا ؟.

فقال الإمام الرضا عليه السلام: ان المرأة في أيام داود كانت إذا مات بعلها لا تتزوج بعده أبداً، وأول من أباح الله له ان يتزوج بامرأة قتل بعلها كان داود عليه السلام، فتزوج بامرأة أوريا لما قتل، وانقضت عدتها، فذلك الذي شق على الناس من قتل أوريا[0].

وروى ان المأمون سأل الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: ما معنى قول الله عز وجل: ((فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ))[0].

فقال الرضا عليه السلام: ان موسى دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها، وذلك بين المغرب والعشاء ((وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ))، فقضى موسى على العدو بحكم الله تعالى ذكره (فَوَكَزَه) فمات . ((قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)) بمعنى الاقتتال الذي وقع بين الرجلين لا ما فعله موسى من قتله أنه – يعني الشيطان – ((عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ))[0] .

وقد سأل المأمون الإمام عليه السلام: ما معنى قول موسى: ((قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)) [0].

فقال عليه السلام: أي يعني: ((أني وضعت نفسي بغير موضعها بدخولي هذه المدينة ((فَاغْفِرْ لِي)) أي أسترني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني[0] ((فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))[0].

قال موسى: ((قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ)) [0]، من القوة حتى قتلت رجلاً بوكزة ((فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ))[0] بل أجاهد سبيلك بهذه القوة حتى رضا، فأصبح موسى علية السلام في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه على آخر قال له موسى: ((فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ))[0] قاتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم، لأؤذيك، وأراد أن يبطش به، فلما أراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما) وهو من شيعته: ((فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ))[0].

قال المأمون : جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن، فما معنى قول موسى لفرعون: ((قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ)) [0]، قال عليه السلام، ان فرعون قال لموسى لما أتاه: ((وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ))[0]. قال موسى: ((قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ))[0]،عن الطريق بوقوعي إلى المدينة من مدائنك: ((فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ))[0]

وسأل المأمون الإمام الرضا عليه السلام، فقال له: ما تقول بقوله عز وجل: ((لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا))[0].

فأجابه الإمام الرضا عليه السلام : لم يكن احد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلما جاءهم صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك وعظم، وقالوا: ((أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ)[0] فلما فتح الله عز وجل على نبيه مكة قال له: يا محمد: ((إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا))[0] عند مشركي أهل مكة بدعائك الى توحيد الله، فيما تقدم وما تأخر لأن مشركي مكة أسلم بعضهم، وخرج بعضهم عن مكة ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه، إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عند ذلك مغفوراً بظهوره عليهم [0].

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن أخبرني عن قول الله عز وجل: ((عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ))[0] فقال الرضا عليه السلام : هذا ما انزل بـ : إياك أعني وأسمعي يا جارة، خاطب الله عز وجل بذلك نبيه وأراد به أمته)، وكذلك قول تعالى: ((وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ))[0] وقوله تعالى: ((وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا))[0].

فقال المأمون: صدقت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، شفيت صدري يا بن رسول الله، وأوضحت ما كان ملتبساً علي[0] .

وسأل علي بن محمد بن الجهم الإمام الرضا عليه السلام: فما تقول بقوله عز وجل: ((وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ))[0].

فقال الإمام الرضا عليه السلام: ان الله عز وجل عرف نبيه أسماء أزواجه في دار الدنيا، وأسماء أزواجه في دار الآخرة، وأنهن أمهات المؤمنين وإحداهن من سمي له زينب بنت جحش، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة، فأخفى اسمها في نفسه ولم يبده لكيلا يقول أحد المنافقين: أنه قال في امرأة في بيت رجل أنها إحدى أزواجه من أمهات المؤمنين، وخشي المنافقين، فقال الله عز وجل: ((وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)) يعني في نفسك ، وان الله عز وجل ما تولى تزويج أحد الا رسول الله من زينب والإمام علي (عليه السلام) من فاطمة بقوله ((فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا))[0] وفاطمة من علي [0].

فما ان سمع ذلك محمد بن الجهم حتى بكى، وقال يا ابن رسول الله أنا تائب إلى الله عز وجل من ان انطق في أنبياء الله بعد يومي هذا إلا ما ذكرته [0].

وفي رواية أخرى ان المأمون سأل الإمام الرضا عليه السلام: ما معنى قول الله عز وجل: ((وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)).[0]

فقال عليه السلام: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قصد دار زيد بن حارثة بن شراحبيل الكلبي في أمر أراده، فرأى امرأته تغتسل فقال لها (سبحان الذي خلقك)، وانما أراد بذلك تنزيه الباري عز وجل عن قول من زعم ان الملائكة بنات الله فقال عز وجل: ((أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا)) [0]. فلما عاد زيد إلى منزله أخبرته

امرأته بمجيء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقوله لها: سبحان الذي خلقك، فلم يعلم زيد ما أراد بذلك، وظن انه قال ذلك لما أعجبته من حسنها، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: يا رسول الله ان امرأتي في خلقها سوء، واني أريد طلاقها، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم))َأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ))[0]، وقد كان الله عرفه عدد أزواجه، وان تلك المرأة منهن، فأخفى ذلك في نفسه، ولم يبده لزيد، وخشى الناس ان يقولوا: ان محمداً يقول لمولاه: ان امرأتك ستكون لي زوجة فيعيبونه بذلك فأنزل الله عز وجل: ((وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)).[0] ثم ان زيدا طلقها واعتدت منه، فزوجها الله عز وجل من نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأنزل بذلك قرآناً فقال عز وجل: ((فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا))[0] ثم علم الله عز وجل ان المنافقين سيعيبونه بتزويجها، فأنزل الله تعالى:))َا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨)))[0] فقال المأمون: شفيت صدري يا ابن رسول الله، وأوضحت ما كان ملتبسا علي، فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً[0].

ونستشف مما تقدم ما يأتي :-

●اثبت الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ان الأنبياء معصومون من المعصية والمخالفة لله تعالى، إذ كشف الإمام عليه السلام عصمة الأنبياء من خلال القرآن الكريم، وهذا ليس بالغريب عن الإمام عليه السلام، فقد اعتمد الإمام الرضا آلية مهمة في بيان ما يريدون، وذلك من منطلق المحاججة، فهم قد اعتمدوا القرآن ولذلك نلاحظ ان الإمام قد اعتمد القران الكريم ولكن بفهم المعصوم، وبفهم العدل الثاني وهم أهل البيت فرواياتهم القرآنية لها عمقها الذي لا يصل إلية احد.

●ان الإمام الرضا عليه السلام فسر الآيات القرآنية جميعها بهدف إثبات عصمة الأنبياء وتنزيههم من كل شيء لا يليق بقداستهم ، فهم مصطفون من قبل الله تعالى.

●أزال الإمام الرضا عليه السلام كل الشبهات التي طرحها المأمون وعلي بن محمد بن الجهم حول عصمة الأنبياء بالأدلة القرآنية ،التي تؤكد عصمتهم.

●أكد الإمام عليه السلام ان قصة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وزواجه من زينب انما كان القرآن الكريم يهدف إلى محاربة بعض الظواهر التي كانت سائدة بالمجتمع، ومنها محاربة سنة الجاهلية فيما يتعلق بالزواج من مطلقة الابن المدعي وقد أخفى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ذلك في نفسه بعد ان علم انها من زوجاته، وخشي إظهار هذا للناس، فكان الله تعالى أمره بالزواج منها إذا طلقها زيد، وكانت زينب تفتخر بهذا الأمر على سائر زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ تقول :(زوجكن اهلكن وزوجني الله في السماء)[0].

●ان الإمام الرضا عليه السلام أكد من خلال تفسيره للآيات القرآنية التي تخص الأنبياء بالأدلة القرآنية على إبطال الروايات الضعيفة التي تنسب إلى الأنبياء الفاحشة والمنكر، بالدليل الذي يثبت ان هذه الروايات من الخرافة، وان الأنبياء بعيدون كل البعد عما ما ذكرته هذه الروايات، ومنها :الرواية التي ألصقت بالنبي داود عليه السلام، إذ أخذ الإمام عليه السلام بالرد على كل الشبهات التي أوردها المأمون وعلي بن الجهم التي تشكك بعصمة الأنبياء.

●ويتبين عجز المأمون ومحمد بن علي بن الجهم في أكثر من مرة، فلم يجد المأمون إلا قول الحق مراراً وتكراراً بقوله (لله درك يا ابا الحسن، بارك الله فيك يا ابن رسول الله).

٣- إثبات نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم:-

من المسائل الكلامية التي أثيرت في مناظرات الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام مع أصحاب الديانات الآخر، هي إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ففي زيارة الإمام الرضا عليه السلام، إلى البصرة بعد استشهاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام[0]، وتوقف عدد من الشيعة عند إمامة الإمام الكاظم عليه السلام، وعدم اعترافهم بإمامة الرضا عليه السلام، فكانت هذه الزيارة لتأكيد إمامة الرضا عليه السلام، وخلال ذلك عقد مجلس للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام للإجابة على أسئلتهم واستفساراتهم، وكان ضمن من حضر ذلك جاثليق النصارى ورأس الجالوت، فاحتج الإمام الرضا عليه السلام بنصوص من الإنجيل والتوراة والزبور لتأكيد نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال جاثليق النصارى: لو دل الإنجيل على ذلك لما جحدناه، فقال عليه السلام: أخبرني بالسكتة التي لكم في السفر الثالث، فقال زعيم النصارى: اسم من أسماء الله تعالى، لا يجوز لنا ان نظهره، قال الرضا عليه السلام: ((فإن قررتك انه اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وذكره عيسى به، وانه بشر بني إسرائيل بمحمد، أتقر به ولا تنكره؟)) قال: الجاثليق: ان فعلت أقررت به، فأني لا أرد الإنجيل ولا أجحده. قال الرضا عليه السلام: ((فخذ على السفر الثالث الذي فيه ذكر محمد وبشارة عيسى بمحمد)). قال الجاثليق: هات! فأقبل الرضا عليه السلام يتلو السفر من الإنجيل، حتى بلغ ذكر محمد، فقال: يا جاثليق، من هذا النبي الموصوف؟ قال الجاثليق: صفه قال: ((لا أصفه إلا بما وصفه الله تعالى، وهو صاحب الناقة والعصا والكساء، النبي الذي يجدونه مكتوباً عندهم بالتوراة والإنجيل يأمر بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم، والأغلال التي كانت عليهم، يهدي إلى الطريق الأفضل، والمنهاج الأعدل والصراط الأقوم. سألتك بالله يا جاثليق: بحق عيسى روح الله وكلمته، هل تجد هذه الصفة في الإنجيل لهذا النبي؟ فأطرق الجاثليق ملياً، وعلم انه ان جحد الإنجيل كفر، فقال: نعم، هذه الصفة في الإنجيل، وقد ذكر عيسى هذا النبي ولم يصح عند النصارى أنه صاحبكم .

فقال الرضا عليه السلام: ((أما إذا لم تكفر بجحود الإنجيل وأقررت بعافية من صفة محمد، فخذ علي السفر الثاني فأني أوجدك ذكره، وذكر وصيه، وذكر ابنته وذكر الحسن والحسين)) فلما سمع الجاثليق ومن كان بالدار ومنهم رأس الجالوت، علماً ان الرضا عليه السلام، عالم بالتوراة والإنجيل والزبور، فقالا: والله لقد أتى بما لايمكننا رده، ولا دفعه، إلا بجحود التوراة والإنجيل والزبور، وقد بشر به موسى وعيسى جميعاً، ولكن لم يتقرر عندنا صحة انه محمد هذا، وما اسمه محمد فلا يجوز لنا ان نقر لكم بنبوته، ونحن شاكون انه محمدكم او غيره[0].

فقال الرضا عليه السلام : ((احتججتم بالشك ، فهل بعث الله قبل او بعد من ولد آدم إلى يومنا هذا نبياً أسمه محمد ؟ أو تجدونه في شيء من الكتب التي أنزلها الله تعالى على جميع الأنبياء غير ... فأحجموا عن جوابه ، وقالوا : لا يجوز لنا ان نقر لكم بأن محمداً انه محمدكم ، لأن ان قررنا لكم بمحمد ووصيه وابنته وابنها على ما ذكرتم أدخلتمونا في الإسلام كرهاً [0].

فقال عليه السلام: ((أنت جاثليق آمن في ذمة الله، وذمة رسوله لا ينالك منا شيء تكره مما تخافه وتحذره)) قال: فأما إذا آمنتني، فإن هذا النبي اسمه (محمد) وهذا الوصي الذي اسمه (علي)، وهذه البنت التي أسمها (فاطمة) وهذان السبطان اللذان أسماهما (الحسن والحسين) في التوراة والإنجيل والزبور [0].

قال الرضا عليه السلام: ((فهذا الذي ذكرته في التوراة والإنجيل والزبور من اسم هذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا الوصي، وهذه البنت وهذين السبطين صدق وعدل ام كذب وزور؟)). قال: صدق وعدل، وما قال الله إلا الحق[0].

احتج الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام على زعيم النصارى في البصرة بكتابهم المقدس الإنجيل، فهو بذلك يعطي الدليل من الإنجيل ، وليس من القرآن الكريم، حتى يقطع الحجة على زعيم النصارى، ومن جهة أخرى أصر الجاثليق على العناد والجحود وعدم الإقرار بقوله :((بأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، هو محمدكم فأن أقررنا لك بمحمد ووصيه وأبنته وأبنهما

على ما ذكرتم أدخلتمونا في الإسلام كرها))، لكن الإمام عليه السلام رفض ذلك مؤكداً التزامه بآداب المناظرة، مطمئناً الجاثليق بقوله: ((أنت يا جاثليق آمن في ذمة الله، وذمة رسوله، انه لا يبدوك منا شيء تكرهه))[0].

وكانت هناك مناظرة للإمام عليه السلام في البصرة مع رأس الجالوت بعد ان ناظر جاثليق النصارى، دالاً من خلالها على وجود ذكر الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت في التوراة والإنجيل والزبور، فقال لرأس الجالوت: ((فأسمع الآن يا رأس الجالوت السفر الأول من زبور داود قال : هات ، بارك الله عليك وعلى ولدك فقرأ الرضا عليه السلام السفر الأول من الزبور، حتى انتهى إلى ذكر محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. فقال: ((سألتك يا رأس الجالوت بحق الله ، هذا في زبور داود؟ ولك من الأمان والذمة والعهد ما قد أعطيت الجاثليق)) فقال رأس الجالوت: نعم هذا بعينه العينة في الزبور بأسمائهم، قال الرضا عليه السلام: ((فبحق العشر الآيات والتي أنزلها الله تعالى على موسى بن عمران في التوراة ، هل تجد صفة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين منسوبين إلى العدل والفضل؟)) قال: نعم ومن جحدها كان كافراً بربه وأنبيائه. فقال الرضا عليه السلام ((فخذ الآن على سفر كذا من التوراة)) فبهت رأس الجالوت متعجباً من تلاوته وبيانه وفصاحة لسانه، حتى اذا بلغ ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم. قال رأس الجالوت: نعم ! هذا أحمد وإيليا وفطيم وشبر وشبير ، وتغير بالعربية محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فتلاً الرضا السفر إلى تمامة، فقال رأس الجالوت – لما فرغ من تلاوته - : والله يا ابن محمد لولا الرئاسة التي حصلت لي على جميع اليهود لآمنت بأحمد وأتبعت أمرك، فوالله الذي أنزل التوراة على موسى، والزبور على داود، ما رأيت أقرأ للتوراة والإنجيل والزبور منك، ولا رأيت أحسن بياناً وتغيراً وفصاحة لهذه الكتب منك[0].

يلاحظ مما تقدم ما يلي :-

- أورد الإمام عليه السلام البرهان الساطع من التوراة والإنجيل على ورود ذكر أسم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحاب الكساء (عليهم السلام) في التوراة والإنجيل والزبور، وقد احتج الإمام عليه السلام على رأس الجالوت – أي اليهود – من التوراة ومن مؤلفاتهم المدونة بلغاتهم .
- أكد رأس الجالوت بوجود أسماء أهل البيت عليهم السلام في التوراة من جهة ومن جهة أخرى أكد على معرفة الإمام الرضا عليه السلام في التوراة والإنجيل والزبور ، وبأنه لا يوجد أحسن ولا أفضل من الإمام عليه السلام معرفة في بيانه وتفسيره وفصاحته .
- ويتضح ان المصالح الدنيوية ورئاسة رأس الجالوت لليهود كانت سبباً وراء إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعدم الإيمان به .
- كما تدل هذه المناظرة على أخلاقية أهل البيت (عليهم السلام) في عدم إكراه الآخر على اعتناق الإسلام .

وفي المجلس الذي عقده المأمون لامتحان الإمام الرضا عليه السلام في مرو سأل رأس الجالوت الإمام عليه السلام: من أين تثبت نبوة محمد؟ شارطاً على الإمام عليه السلام بأنه لا يقبل أي حجة إلا من التوراة والإنجيل والزبور فأجابه الإمام عليه السلام موافقاً على هذا الشرط، فقال عليه السلام : شهد بنبوته موسى بن عمران وعيسى بن مريم وداود خليفة الله ، فقال له : ثبت قول موسى بن عمران ! قال الإمام الرضا عليه السلام : تعلم يا رأس الجالوت ان موسى أوصى بني إسرائيل فقال لهم : انه سيأتيكم نبي من أخوانكم فيه فصدقوه ومنه فاسمعوا ، فهل تعلم ان لبني إسرائيل أخوة غير ولد إسماعيل ، ان كنت تعرف قرابة إسرائيل من إسماعيل والنسب الذي بينهما من قبل إبراهيم عليه السلام ؟ فأقر رأس الجالوت بذلك، قائلاً : هذا قول موسى لا ندفعه ، فقال الرضا عليه السلام : هل جاءكم من أخوة إسرائيل غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال : لا فقال الإمام الرضا عليه السلام : أفليس قد صح هذا عنكم ؟ قال : نعم ، ولكني أحب ان تصححه لي من التوراة . فقال عليه السلام : هل تنكرون التوراة تقول لكم : جاء النور من قبل طور سيناء ، وأضاء الناس من جبل ساعير[0] واستعلت علينا من جبل فاران[0]

؟ قال رأس جالوت : أعرف هذه الكلمات وما اعرف تفسيرها ، قال الرضا عليه السلام : أنا أخبرك به ، أما قوله : جاء النور من قبل سيناء ، فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي انزله على موسى على جبل سيناء ، اما قوله : وأضاء للناس في جبل ساعير ، فهو : الجبل الذي أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام وهو عليه ، وأما قوله ، واستعلن علينا من جبل فاران : فذلك جبل من جبال مكة وبينة وبينهما يومان ، وقال شعيب النبي عليه السلام فيما تقول أنت وأصحابك في التوراة رأيت راكبين أضاء لهما الأرض احدهما على حمار ، والآخر على جمل فمن راكب الحمار ومن راكب الجمل؟ قال رأس جالوت: لا اعرفهما فخبرني بهما. قال: اما راكب الحمار فعيسى عليه السلام وأما راكب الجمل فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، أتنكر هذا من التوراة؟ قال: لا ما أنكره ... قال الرضا عليه السلام : فقد قال داود في زبوره – وأنت تقرأه - : اللهم أبعث مقيم السنة بعد الفترة، فهل تعرف نبياً أقام السنة بعد الفترة غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال رأس الجالوت: هذا قول داود نعرفه ولا ننكره، ولكن عنى بذلك عيسى وأيامه في الفترة قال له الرضا عليه السلام: جهلت ان عيسى لم يخالف السنة، وكان موفقاً لسنة التوراة حتى رفعه الله إليه وفيه الانجيل مكتوب ان ابن البرة ذاهب – أي عيسى – ذاهب والبارا قليطا[0] جاء من بعده وهو الذي يحفظ الأخبار ، ويفسر لكم كل شيء ، ويشهد لي كما شهدت له ، أنا جئتكم بالأمثال ، وهو يأتيكم بالتأويل : أتؤمن بهذا من الانجيل ؟ قال رأس الجالوت: نعم لا أنكره قال الرضا عليه السلام: أسالك عن نبيك موسى بن عمران عليه السلام فقال رأس الجالوت : انه جاء بما لم يجيء أحد من الأنبياء قبله ، قال عليه السلام: مثل ماذا ، قال رأس الجالوت : مثل فلق البحر وقلبه العصا حية تسعى وضرب الحجر فأنفجرت منه العيون واخرج يده بيضاء للناظرين ، وعلامات لا يقدر على مثلها .

قال الإمام الرضا عليه السلام: صدقت في أنهما كانتا حجته عل نبوته، أنه جاء بما لا يقدر الخلق على مثله ، أفليس كل من ادعى انه النبي جاء بما لا يقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه ؟ قال رأس الجالوت : لا ، لأن موسى لم يكن له نظير لمكانته من ربه وقربه منه ، ولا يجب علينا الإقرار بنبوة من ادعاها حتى يأتي من الأعلام بمثل ما جاء ، قال الرضا عليه السلام: فكيف أقررتم بالأنبياء الذين كانوا قبل موسى ولم يفلقوا البحر ولم يفجروا من الحجر اثني عشرة عيناً ، ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده ، بيضاء ، ولم يقلبوا العصا حية تسعى ؟!

وأجاب رأس جالوت : قد خبرتك إنك متى جاءوا على نبوته من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله ولو جاءوا بمثل ما لم يجيء به موسى ، او كانوا على ما جاء به موسى وجب تصديقهم ورد الإمام الرضا عليه السلام، على حجته قائلاً: يا رأس الجالوت فما يمنعك من الإقرار بعيسى بن مريم، وكان يحيي الموتى ، ويبرئ الأكمة والأبرص ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائراً بإذن الله ؟ !

فقال رأس الجالوت : يقال ؛ انه فعل ذلك ولم نشهده قال الرضا عليه السلام : أرأيت بما جاء به موسى من الآيات وشاهدته؟ أليس انه جاء الإخبار من ثقات أصحاب موسى انه فعل ذلك؟ فقال رأس الجالوت: بلى: فقال الإمام عليه السلام: كذلك أتتك الأخبار المتواترة بما فعل عيسى بن مريم، فكيف صدقتم موسى ولم تصدقوا بعيسى؟ وكذلك أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم، و ما جاء به وأمر كل نبي بعثه الله، ومن آياته انه كان يتيماً لم يتعلم ولم يختلف إلى معلم، ثم جاء القرآن [0] الذي فيه قصص الأنبياء عليه السلام وأخبارهم حرفاً حرفاً، وأخبار من مضى ومن بقى إلى يوم القيامة، ثم كان يخبرهم بأسرارهم وما يعملون في بيوتهم، بآيات كثيرة لا تحصى.

فقال رأس الجالوت: لم يصح عندنا خبر عيسى ؟ ولاخبر محمد، ولا يجوز لنا ان نقر لهما بما لا يصح عندنا . فقال الإمام عليه السلام: الشاهد الذي يشهد لعيسى ومحمد شاهد زور فلم يحر جواباً[0].

ونستشف مما تقدم ما يأتي :-

•حاول رأس الجالوت إحراج الإمام عليه السلام عندما اشترط عليه أنه لا يقبل الحجة إلا من التوراة ، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، ووافق هذا الشرط منهجية الإمام الرضا عليه السلام في المناظرات بأن يناظر كل ديانة بكتابهم، فأورد الإمام عليه السلام البراهين الساطعة من الإنجيل والتوراة ، مما أدى إلى تحيّر رأس الجالوت فلم يحر جواباً .

• نلاحظ ان رأس الجالوت قد أقر في أكثر من مرة بأن ما يذكره الإمام عليه السلام، هو قول موسى ولا يستطيع ان يدفعه من جهة وحاول رأس الجالوت المراوغة في بعض جوانب المناظرة عندما كان يقر بأن ذلك موجود بالتوراة ، ولكنه طلب من الإمام إيضاح ذلك له .

• استطاع الإمام عليه السلام في نهاية المطاف ان يقيم الحجة البالغة وسد كل المنافذ على رأس الجالوت ، وبذلك فقد بان عجز رأس الجالوت ، فلم يجد أي وسيلة يتمسك بها لدعم عقائده .

• ان الإمام عليه السلام فند كلام رأس الجالوت ، عندما أقر بمعجزات موسى عليه السلام ، فأكد له الإمام عليه السلام ان لكل نبي معجزاته الخاصة التي تتناسب مع ما كان سائدا في ذلك العصر ، ففي زمن موسى عليه السلام ، كان السحر سائدا فجاءت المعجزة خارجه عن طبيعة السحر ، وفي زمن عيسى عليه السلام كان الطب سائدا فجاءت معجزاته بشفاء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى خارج عن طبيعة الطب ، وفي زمن الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم زمن الشعر والكلام البليغ ، فكانت معجزة القرآن الكريم الذي تحدى به العرب أصحاب البلاغة والخطابة والشعر ، وبذلك فقد أكد الإمام عليه السلام انه يجب الإقرار بكل تلك المعجزات التي كانت فلا يقدر الخلق على الإتيان بمثلها ، فالإمام يؤكد لرأس الجالوت على ان ما جاء به موسى من معجزات لا يقدر الخلق على مثلها وكذلك فإن ما جاء به بقية الأنبياء توجب الإقرار بنبوة عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبذلك أثبت الإمام الرضا عليه السلام نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من التوراة .

•يتضح مما تقدم مقدرة ومعرفة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، بالتوراة والإنجيل والزبور، وسيرة الأنبياء السابقين، إذ استطاع عليه السلام من خلال ذلك ان يثبت نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقدم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام دليلاً على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ففي مناظرة له عليه السلام مع أصحاب الديانات قال للهربذ الأكبر: اخبرني عن زرادشت الذي تزعم انه نبي ،ما حجتك على النبوة ؟

فقال الهربذ: انه أتى بما لم يأتنا به أحد قبله، ولم نشهده، ولكن الأخبار من أسلافنا وردت علينا بأنه أحل لنا ما لم يحله لنا غيره، فأتبعناه .

فقال الإمام عليه السلام له: أفليس انما أتتكم الأخبار فاتبعتموه . قال الهربذ : بلى. فقال الإمام عليه السلام: فكذلك سائر الأمم السالفة أتتهم الأخبار بما أتى به النبيون وأتى موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم، فما عذركم في ترك الاقرار بهم، إذا كنتم انما أقررتم بزرداشت من قبل الأخبار الواردة بأنه جاء بما لم يجيء به غيره؟ فأنقطع الهربذ عن الكلام[0].

نستشف مما تقدم ان الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام استخدم الأدلة العقلية في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، من خلال المقارنة مابين الأدلة التي اعتمدها الهربذ الأكبر في إثبات نبوة زرادشت والأسباب التي دفعت لذلك، الاعتقاد مؤكداً له الإمامعليه السلام ان سائر الأمم اتبعت الأنبياء عن طريق الأخبار بما أتي به هؤلاء الأنبياء .

وختاما أوضحت الدراسة الدور الكبير للإمام الرضا (ع) في إزالة الشبهات التي أثيرت في عصره حول عصمة الأنبياء، حيث تصدى وفند أدلة كل من حاول اتهام الأنبياء بالذنوب والفواحش، عن طريق الأدلة القرآنية التي تؤكد عن عصمة الأنبياء وتنزيههم من المعاصي، وأكد (ع) بالآيات القرآنية على وجوب عصمة الأنبياء. وأكد (ع) إن الأنبياء يجب ان يتصفوا بأرقى درجات الكمال وأعلاها، فهم رسل مبعوثون من الله تعالى، ولا يمكن ان يتصفوا بأي صفات دنيئة، فضلا عن ذلك أثبت الإمام الرضا (ع) نبوة النبي محمد (ص) من خلال الكتب المقدسة السابقة.

الهوامش